تأشيرة دخول

□ د. أثير ناظم الجاسور

في كتاب الإعلامي المصري يسري فودة (في طريق الأذى) يروي على القارئ تجربتين مر بهما، الأولى في باكستان بعد أن تلقّى رسالة من شخصيات تابعة لتنظيم القاعدة طلباً للقائه ويسرد كيف التقى مع أهم شخصيتين في التنظيم، هما رمزي بن الشيبة وخالد الشيخ محمد، وكيف خاطر بحياته وتنقل من مدينة لأخرى من أجل لقائهما، والتجربة الثانية عبوره للعراق من الحدود السورية، وأيضاً يسرد الكاتب هنا عملية الانتقال والاستلام والتسليم من خلال سماسرة الطريق والمهربين الذين مسحوا الصحراء حتى باتوا يعرفون كل سنتمتر فيها، وكيف وصل للعراق ليلتقي بقيادات الجيش الإسلامي والجماعات المسلحة الباقية، وكيف عاد إلى سوريا بذات الطريقة التي دخل فيها وكان للمهربين وماسحي الصحراء الدور الكبير في تنقله في مناطق ملتهبة يصعب حتى على أهلها التنقل بسهولة في ذلك الوقت.

سنركّز على التجربة الثانية التي طرحها فودة، والتي بيّنت شرحاً مفصلاً لعمل هؤلاء المهربين الذين اثبتت الأحداث فيما بعد، أن لهم القدرة على التحكم في مداخل ومخارج تلك المناطق الحدودية ذات الطابع الصحراوي التي كانت عصيّة على اكبر قوة في العالم، ولم تستطع السيطرة عليها لغاية يوم انسحابها سواء كانت مسألة عدم السيطرة مقصودة أم غير مقصودة لتكون تأشيرة مجانية للقتلة والمجرمين داخل العراق، بالنتيجة فإن التكنولوجيا العسكرية الجبارة لم توقف زحف الإرهابيين الذين كانوا يدخلون العراق أفواجاً بدعوى الجهاد ومقاتلة دولة الكفر، وعلى الرغم من وجود الطائرات المسيّرة والصواريخ الموجّهة والأقمار الصناعية، إلا أن الحدود مع سوريا بقيت تحمل العلامة خطر سريع الاشتعال، والتقارير الأمنية كانت تذكر ذلك بكل تفاصيلها وحتى السياسيون كانوا يشكون خطورة الموقف على تلك الحدود.

في كل عام من بعد عام ٢٠٠٣ لم تكن الحدود العراقية بمأمن من عبور سذج الجهاد الذين لا يتوانون عن بيع وإعطاء أغلى ما لديهم ليلتحقوا بركب الموت والتكفير، وما حدث عام ٢٠١٤ لم يكن بعيداً عما ذُكر في كتاب فودة، وحيثيات الحادثة عكست بما لا يدع مجالاً للشك عدم امكانية عالية وعدم سيطرة على أهم جزء من أجزاء الدولة، لا بل قد يكون الحسّاس والمحوري في نفس الوقت، ألا وهي الحدود، فكان تدفق عصابات داعش الإجرامية يوحي بأن الحدود العراقية تفتقر للرقابة والأمان، وعلية حدثت الكارثة التي نأمل أن لا تتكرر لا في الحاضر ولا في المستقبل.

حتى نكون أكثر أمناً على القيادات السياسية والعسكرية والأمنية إدراك أنه على الرغم من تطهير اصعب حزام حدودي مع سوريا، إلا أنه ما زال يُعد منطقة خطرة وخاصرة رخوة لا يمكن السيطرة عليها إلا بعد أن تتشارك كل القيادات الحكومية المركزية واللامركزية والتعاون من أجل الخروج بستراتيجية واضحة تحدد نقاط الضعف في هذا الشريط المعقد الذي يخشى منه الجميع من خلال زرع الثقة بين المواطن والقوات الأمنية في تلك المناطق لاسيما وأن الجميع على علم بالمخاطر التي قد تفتك بهم إذا ما تكررت نفس الكارثة، والتنسيق مع دول الجوار بالحفاظ على الحدود وتبادل المعلومات والعمل الاستخباري وتبادل الخبرات الأمنية والعمل العسكري المشترك، والسيطرة على هؤلاء السماسرة والمهرّبين الخارجيين وتحديد مناطق تواجدهم في تلك الدول، والقضاء على السماسرة الداخليين الذي يساعدون الإرهابيين والقتلة في الإفلات من قبضة العدالة، كما على الحكومة اتباع اساليب وطرق حديثة للمراقبة والتحري في الداخل من خلال تسيير الفرق السيّارة على طول الحدود مدعومة بأنظمة الكترونية متطورة تساعد هذه الفرق في التنقل والسيطرة على تلك المناطق الصحراوية الشاسعة.

إن حماية الحدود تعد من الأعمال الشاقة والتي تحتاج إلى قدرات عظيمة، ولكي تصل للنتائج المرجوة تحتاج إلى قرارات حكيمة وقيادات عسكرية مهنية قادرة على إدارة الوضع الأمني وفق منطلقات وطنية، خصوصاً وأن مسالة الحدود تشكل بُعدين مادي ومعنوي، وبذلك نمنع التسلل إلى داخل العراق من تلك الجماعات الإرهابية، وليكن الدخول للعراق من خلال تأشيرة دخول قانونية تمنح بإرادة عراقية.

العنف والإكراه ليسا حلاً!

تتفاقم مشاكل اقليم كردستان العراق بسبب الإجراءات العقابية التي فرضتها الحكومة الاتحادية في بغداد، بتنسيق معلن مع حكومتي إيران و تركيا في معمعان معقّد لاتتوضح فيه أهداف الحكومة الاتحادية بإجراءاتها تلك، بعد أن جرى الاستفتاء و انتهى و لم يؤخذ به و لم تترتب على نتائجه تغييرات تُذكر. اضافة الى عجز حكومة الإقليم القائمة عن حل المشاكل المالية و الحياتية التي يعانيها ابناء كردستان، بسبب اللامبالاة و الفساد اللذين يعمّان البلاد والإقليم.

□ د. مهند البراك

و يرى العديد من أهل الرأي أن مايجري يظهر و كأنه لاعلاقة به بمسألة الاستفتاء و إنما أمر كأنه مبيّت من قبل الإعلان عن انتهاء داعش و تهيئوا لما اصطلح عليه مرحلة (ما بعد داعش) رغم استمرار مكامن خطر الإرهاب و الإعلان عن نشوء منظمات ارهابية جديدة كـ (اصحاب الرايات البيضاء) و ظهور مجاميع داعشية و غيرها بين حين و آخر.

حتى صار شعب كردستان يواجه حصاراً يشمل قطع رواتب العمال والموظفين، و الهبوط بالحياة العائلية للفرد في كردستان، الأمر الذي صار يستهدف الفرد الكردستاني، بعد أن ترافق قطع الرواتب، ومنع وصول الميزانية منذ ٢٠١٤، بقرار اغلاق المنافذ الحدودية لكردستان، بالتنسيق مع ايران وتركيا، الذي يحرم السوق من اكثر المواد الغذائية، ويمنع وصول الأدوية الكافية للمذاخر والمستشفيات، اضافة الى انقطاع الوقود في هذا البرد القارس و شل حركة النقل الداخلي، و توقف تصدير المنتجات البسيطة، في استهداف واضح لحياة الانسان الكادح و البسيط وليس لرجال السلطة في كردستان ولا الأغنياء و القطط السمان و عوائل المتنفذين، في اقليم يأوي و يطعم ملايين النازحين العراقيين من مختلف الإنتماءات.

في سعي يبتعد عن الحل السلمي و التفاوض و المحادثات و يسعى لتصعيد الضغوط و الحصار على كردستان العراق مهدداً بتحطيم روح الأخوة العربية - الكردية بتصعيده الشوفينية و التعصب القومي و ايصاله الأوضاع بالتالي الى الخروج على الدستور، و الى استخدام العنف لمواجهة الانفجار الشعبي بسبب الفقر بفوضاه الخاطئة. لإنعدام تقاليد المعارضة و لضعف اهتمام حكومات الإقليم برعاية المعارضة السلمية و تنظيمها، بل و لجوء اطراف منها الى إسكاتها بالإكراه، رغم التجربة الرائدة التي عاشها الإقليم وبنى بها البيت الكردستاني بقواه المتنوعة الذي كان مثالاً سعى الجميع للدعوة للاقتداء به، في سعي يبتعد عن العمل فعلياً على حل المشاكل هناك، بل يتركها.

ناسين أنّ العنف لايحل المشاكل بل يُفاقمها، و كذلك الحال في مواجهة المطالبة بالحقوق و الاحتجاج بالعنف، و إن الاحتجاج و الرفض قد ينتشرا انتشار النار بالهشيم إن كانت المعاناة و الإرادة لحلها تتواصلان كما يُخبر التأريخ، و يُخبر عن القضية و الحركات الكردية و كيفية تحدياتها للظلم و الحديد و النار بشواهد كثيرة آخرها استخدام الدكتاتورية لسلاح الإبادة الجماعية الكيمياوي الذي رغم آلاف الضحايا، فإنه زاد اشتعال الانتفاضة الكردستانية في العراق و أكسبها أبعاداً عالمية لم تعرفها في السابق، و أدىّ الى تهرئ الدكتاتورية و بالتالي الى سقوطها.

وفيما ينتظر كثيرون من الحكومة الاتحادية في بغداد موقفاً حريصاً على شعب كردستان بكونه جزءاً من الشعب العراقي و لكونها الحاكمة الفعلية لدولة فدرالية نشأت إثر سقوط الدكتاتورية التي ناضل لإسقاطها الشعب العراقي بكل مكوّناته و ألوان طيفه و قدّم جحافل الشهداء دونها، نشأت بدعم القوى العالمية و ليست بفعل حزب بعينه أو بفعل اشخاص و عوائل بعينها.

و ينتظرون موقفاً عملياً من بغداد كتنفيذ وعد رئيس الوزراء الاتحادي حيدر العبادي بصرف رواتب الاقليم أو الاعلان عن موقف بنّاء مما يجري، و ليس الاعلان عن حل عسكري لمايجري و ارسال قوات عسكرية أو امنية اتحادية لإخماد الاحتجاجات الجارية، كما يجري الحديث في أوساط الحكومة الاتحادية، في اوضاع شديدة التوتر يمكن اثارة انواع الصراعات فيها سواء كانت قومية، ايرانية . عراقية . تركية، طائفية، مصلحية و عشائرية. حتى صار البحث عن حلول للطرق السلمية يجري مع الدول الكبرى و ليس بين بغداد و أربيل و السليمانية.

و حتى وصل الحال بسبب تعنّت اطراف النزاع و لامبالاتهم بما يواجهه الشعب الفقير الجائع، الى الانفجار الشعبي العفوي رغم مساهمة أحزاب كردستانية فيه، و محاولة استغلال عفويته من اصابع خارجية و أخرى كردستانية تحاول الدخول عليه بنية تسخيره لخططها. و وصل الى النداءات لطرف خارجي ثالث يساعد في التوصل للحوار بين الإقليم و بغداد باعتباره الحل الأنجع للمشاكل، و يدور الحديث عن دور مرتقب للأمم المتحدة في ذلك، بعد أن ابتعدت حتى دول الجوار و الدول الداخلة في الصراع الإيراني . الأميركي عن مساعدة شعب كردستان. وفيما ينبّه كثيرون حكومة السيد العبادي بأن التباطؤ المتزايد لقبول التفاوض يضرّ بحكومته و إن الزمن ليس لصالحه و ليس لصالح حزبه و لا لصالح تحسين صورته في التهيئة للانتخابات، فبعد أن تحسّن موقعه دولياً اثر الانتصارات على داعش، تشهد الإرادة الدولية تحوّلاً لصالح الإقليم الباحث عن التفاوض السلمي، وتشهد ابتعاداً عن الاجراءات القاسية للسيد العبادي بحق شعب كردستان الذي لاتقبل له المذلة و الضياع لمواقفه على الساحة: مواقفه البطولية بوجه داعش و مواقفه الإنسانية في احتضان ملايين النازحين، كما تشير وكالات الانباء الدولية المتنوعة، اضافة الى تواصل الدعم الدولي لقوات البيشمركة.

و يحذّر مراقبون مستقلون من حالات الغرور التي قد يصاب بها المنتصر اثر اعلانه انتصاره على (دولة داعش) التي سقطت بقوات عراقية أرضية بكل مكوّناتها، مطعّمة بأنواع الخبراء من عشرات دول التحالف الدولي المؤيد الذي مسك السماء و مسك الضربات الستراتيجية الأساسية و احكم الحصار دولياً بوجه داعش، الغرور الذي يتسبب بهيمنة العقلية العسكرية على الحكمة و الصبر في حل خلافات تنشأ بين مكونات شعب واحد، شعب بوحدته يستطيع تحقيق المسرة و الرفاه لأبنائه بكل مكوناته و نحن على اعتاب عام جديد!

فيما ينتظر كثيرون من الحكومة الاتحادية في بغداد موقفاً حريصاً على شعب كردستان بكونه جزءاً من الشعب العراقي و لكونها الحاكمة الفعلية لدولة فدرالية نشأت إثر سقوط الدكتاتورية التي ناضل لإسقاطها الشعب العراقي بكل مكوّناته و ألوان طيفه و قدّم جحافل الشهداء دونها، نشأت بدعم القوى العالمية و ليست بفعل حزب بعينه أو بفعل بفعل اشخاص و عوائل بعينها.

يهود العراق وملكة جماله في جنّة (مدينة السلام) للتسامح والمحبّة

عرض فيلم (ذاكرة بغداد) فى (الأكاديمية البريطانية) بقلب لندن بإخراج "فيونا موريه" وبحضور كثيف متميز من الأكاديميين والمثقفين والإعلاميين، حيث ضجّت القاعة بالحضور والتفاعل والاستئناس والإعجاب لأربع ساعات متتالية من الندوة والفيلم والحوار حيث الأسئلة والأجوبة.

□ د. نبيل الحيدري

ويُعد هذا الفيلم من أرقى الأفلام التي صنعت عن يهود العراق وتاريخهم وهجرتهم وعشقهم لها أيام الخير والمحبة والتسامح. تبنّى دعم الفيلم مؤسسة الثقافة دنكور التابعة الى البروفسور المرحوم "نعيم دنكور" المثقف والموسوعي في المعرفة والتاريخ والصحافة والكتابة والتجارة والإحسان والمعروف. إن دنكور ذو المشاريع الخدماتية العظيمة والكثيرة والتي استحق بجدارة لقب "سير" من ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية عام ٢٠٠٦. واليوم يتسلم المسؤولية نجله داود بجدارة وإخلاص حكمة وتدبير وأناة.

إنها قصة بغداد عندما كانت جنّة كما عبّر ديفيد خلاصجي، وكذلك عبّرت دورين أخت نعيم دنكور، وهما يتحدثان عن التسامح والتعايش أيام الخير، فضلاً عن حديث إيلين خلاصجي، عن علاقة الملك فيصل الأول باليهود والصورة مع والدها الحاخام اليهودي الكبير عزرا دنكور، والتي مازالت محتفظة بها مرسومة بالزيت الخالص. كان ثلث بغداد من اليهود ويعد التلمود البابلي هو الأثر الكبير المهم للتفسير الديني للتعاليم اليهودية وتفسيرها من الحاخامات الأصلية. أعظم وزير مالية هو ساسون حسقيل، كما كتبتها في سلسلة مقالات عشرة حوله. وأول قصر لاستضافة أول ملوك العراق هو قصر شعشوع من بغداد، وأول ملجأ ايتام لمناحيم دانييل وأول ملكة جمال هي رانية دنكور والدة داود دنكور ذي الأيادي البيضاء المعروفة بالخير والإحسان.

نعيم دنكور، قام بتسويق شركة كوكا كولا الأمريكية في العراق وأول تعبئة لها في بغداد بدعاياته المبهرة "قريباً تشربون قنينة تلهمكم السعادة عبر العالم" عام ١٩٥٠، لذلك وجدت الشركة ذكراها المئوية هي مئوية نعيم دنكور نفسه، فجعلت سيرته الذاتية العطرة لتجعلها رسالتها إلى العالم. والده إلياهو دنكور هو أول من طبع القرآن الكريم في العراق. إلياهو أصدر عام ١٩٣٦ "الدليل الرسمي العراقي" بمجلدين كبيرين وباللغتين العربية والإنكليزية وله خدمات كبيرة وبقي في العراق متحملاً كل المصاعب، حتى اضطر للمغادرة عام ١٩٧٣ تاركاً وراءه أملاكه المختلفة من الاستثمارات والشركات والمصانع لتصادرها الحكومة جميعاً، وهو يبدأ من جديد بالاستثمار في العقارات.

وجدُّهُ هو عزرا دنكور، رئيس حاخامات الطائفة الموسوية في العراق، وقد أسّس أقدم مطبعة أهلية عام ١٩٠٤، لتطبع الكتب العربية للعالم العربي، فضلاً عن الكتب المدرسية المختلفة من المراحل الإبتدائية والمتوسطة والثانوية.

قام نعيم دنكور، بتأسيس شركة "الصناعات الشرقية المحدودة" وهو يشارك زميله المسلم أحمد صفوت، كما قال في الفيلم داود ابنه. ثم تعرّف نعيم على رينية رفيقة دربه الطويل في العراق وخارجه.

يقول داود، إنه دُعيَ والداه إلى حفلة ملوكية عشية السنة الجديدة، وفيها صدفة مسابقة ملكة جمال العراق ووجدوا بينهم الجمال الرائع والمميّز للسيدة رينية، الجمال الذي لا يرقى إليه جمال فيفوز بجدارة فائقة السيدة الأولى وسيدة بغداد وملكة جمال العراق عام ١٩٤٧ والذي كتب في جميع الجرائد والمجلات في اليوم التالي ليكون حديث الناس. أكثر من ألفي موقع تابع ذلك حتى كتبت لندن عن ذلك، بأن بغداد كانت مدينة السلام والتسامح، حيث يعيشون بأمان ويحتسون القهوة تخرج بهاء السيدة الأولى بقمة جمال بغداد وروعتها ورونقها...

الفيلم يتكلم بوضوح عن العصر الذهبي في مدينة السلام، حيث عاش الجميع متحابين متسامحين خصوصاً العصر الملكي، فما من يهودي إلا وله أصدقاء مسلمون أعزاء كالإخوة والعكس بالعكس دون تمييز أو تباغض. يتحدث عن الحفلات الكثيرة وكذلك النوادي البغدادية، لاسيما نادي الصيد ونادي العلوية في بغداد. أحدهم تحدّث في الفيلم عن مصنع جده من الشوكولاتة، وديفيد خلاصجي عن أصدقائه المسلمين كأخوة أحباء، وكذا ديفيد شماش جار ديفيد دنكور في بغداد ولندن، تحدث عن الحفلات الكثيرة التي عجّت بها بغداد آنذاك وعن اللعب بالورق مع الوزراء المسلمين في بيتهم.

ويعرض الفيلم قصة المعاناة التي بدأت بتصفية الملك بتلك الوحشية ثم حكم عبد الكريم قاسم والتيار القومي العربي والتيار الشيوعي وبعده حكم البعث والتيار الاشتراكي ثم الغزو عام ٢٠٠٣ وما بعده، فضلاً عن تأسيس دولة إسرائيل. ولا ينس المحنة الكبيرة لليهود عندما جاء المفتي الحسيني إلى العراق بعد زيارته هتلر وهو يحرض على اليهود ويتحالف مع هتلر يدعوه لقتلهم والتنكيل بهم ومعاناة اليهود أيّما معاناة حتى قال أحدهم في الفيلم: (لا مسيو ولا مستر، الله في السما وفي الأرض هتلر) تعبيراً عن طغيان وظلم هتلر الذي دعا الهجوم على اليهود واتهامهم بالصهيونية والعمالة زوراً وظلماً وبهتاناً، ثم سرقة أملاكهم "الفرهود" والمشانق المعلّقة في ساحة التحرير، وهجوم الناس عليهم زرافات زرافات حتى قالت إيلين خلاصجي: إن أحدهم رماها بالأسيد الحارق. ولا ينسى بعضهم مثل علي أمير الذي تحدث عن وقوف جيرانه المسلمين الى جانبه دفاعاً عن اليهود لاسيما جارته خيرية لثلاثة أيام تحميه من أيّ عدوان غادر. كما يتحدث الفيلم عن هجرة البعض إلى إسرائيل والبعض إلى لندن وغيرها. اضطر البعض الى تغيير اسمه ولقبه خوفاً من الظلم ومحاولة تحصيل جواز للسفر والهروب الى الخارج.

عندها نطقت سيدة بغداد، أن الوضع لا يُطاق وعليهم المغادرة لترك البلد الذي عشقوه أيّما عشق وخدموه أيّما خدمة لكنهم أيضاً عانوا أيّما معاناة، لتبدأ ١٩٥٩ رحلة جديدة في المغترب من لبنان ومنها إلى لندن موطن الاستقرار والوطن الجديد، لكنهم لم ينسوا بغداد وهم يتغنون بذكرياتها أيام الخير وشجرها ونهريها ونسيمها ومحبتها وأصدقائها.

وافتتح نعيم دنكور بلندن مجلته الرائعة "سكرايب" في الحنين الى بغداد ويهود بابل، لينطلق بها في آفاق رحبة ويتسلم رئاسة التحرير لثلاثة عقود متواصلة... ثم مؤسسة "المنفيون" الخيرية لمساعدة طلاب العلوم في بريطانيا وأنحاء العالم. وأيام الحصار قدّم نعيم أكثر من مليون جنيه مساعدة للشعب العراقي.

لاشك أن نعيم مؤرخ عظيم، حتى أن المختصين البريطانيين يرونه من كبار المؤرخين السياسيين من خلال متابعاته وما كتبه من بحوث ومقالات حول العالم عامّة والعربي خاصة.

كما أنه كان رجل السلام من خلال مؤسساته وحركاته لاسيما "برنامج الدكتور دنكور للتوحيد العالمي" وتحت شعار "إله واحد وعالَم واحد. نعمل سوية من أجل تحقيق السلام" ومؤتمر قبرص بين الديانات الثلاث اليهودية والإسلام والمسيحية. وتشجيعاً للدراسة العليا قدم منحة من مليون جنيه للجامعات البريطانية عام ٢٠٠٥.

وفي العام ٢٠٠٦ حصل نعيم على أعلى وسام في بريطانيا من الملكة إليزابيث الثانية في عيدها الثمانين، عندما منحته وسام الإمبراطورية البريطانية على أعماله الخيرية في دعم مجال التعليم، ومساعدة المدارس المتضررة من الهدم، ومشروع الأرز في القدس، إضافة إلى إرسال عشرة آلاف من الأكياس أسبوعياً للمدن الفقيرة، كما تبرع نعيم بثلاثة ملايين جنيه، كمنح لزمالات علمية للتلاميذ العراقيين الفقراء في الجامعات البريطانية وغيرها، ويعتبر دنكور أحد مؤسسي صندوق رأس الجالوت الذي يرأسه في لندن.

ومن أعماله الخيرية الكبيرة تأسيسه "ويستمنستر أكاديمي"، وتقديم الخدمات العلمية لهم خصوصاً الذين تكون اللغة الإنكليزية ضعيفة لتقويتهم، هذا المركز الخيري يُعد صرحاً علمياً كبيراً ومشروعاً ثقافياً اجتماعياً عظيماً، حيث النسبة العظمى من الطلاب فيه اللاجئين الذين لا يجيدون الإنكليزية، وتكون الإنكليزية لغة ثانية لهم، فيساعدهم المركز في تجاوز اللغة وتقويتها بشكل علمي من أساتذة متخصصين.

يقول داود دنكور (دائماً كان هناك أمل حتى في أشد المراحل معاناة وصعوبة وعندما تتحسن الأوضاع يعودون للقول كيف نغادر بغداد التي أحببناها وعشقناها).

تقول إيلين خلاصجي: (كانت أحلى الأيام ومازلت أحلم بالعودة، لقد كانت جنّة الدنيا).

ويؤيد دنكور الشاعر الطغرائي في الأمل قائلاً:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

لقد خسر العراق كثيراً بفقدانه أعز أحبابه يهود العراق في تاريخ مشرق ومشرف وأمجاد خالدة طوال الدهر. وتظهر سيدة بغداد الأولى في أكثر من ألفي موقع معاصر رمزاً لأيام الخير والتسامح والتعايش والمحبة لمدينة السلام.